

**جامعة ابن طفيل**

**كلية اللغات والآداب والفنون**

**القنيطرة**

**شعبة اللغة العربية وآدابها**

**أدب وفنون- الفصل الخامس**

**مادة " الأدب المقارن"**

**الأستاذة: نورة لغزاري**

**التاريخ: 12 يناير1220**

**الدرس البعدي المكتوب السابع:**

* المقارنة ورحلة العبور من النقدي إلى الثقافي**:**

**نصوص من أجل التأمل (السلسة 7):**

**النص الأول:**

" وكرد فعل على ما آلت إليه الحداثة، فإن الأصوات تعالت لتجاوز الحداثة والحديث عن ما بعد الحداثة كمرحلة ضرورية ليس للتصحيح و التقويم، وإنما للهدم والتقويض والقطيعة، وطي صفحة الحداثة نهائيا بالثورة على المبادئ التي قام عليها المشروع الحداثي الغربي كالعقلانية والفلسفة والذات، إذ أن كل المفاهيم في مابعد الحداثة مغايرة تعبر عن التبعثر والاختلاف والتعددية والانفتاح ".[[1]](#footnote-1)

**النص الثاني:**

"[ ما بعد الحداثة] هي محاولة إعادة التوازن في الحداثة، بعد أن طغى بشكل مجحف الطرف الآلي العقلاني، فهي ليست إلا الحداثة في بعدها الثاني، ولقد وسعت من مكاسبها ورسختها، ووسعت مفهومها للعقل ليشمل اللاعقل، ووسعت مفهومها للقدرات الإنسانية ليشمل المتخيل والوهم والعقيدة والأسطورة، وهي الملكات التي كانت الحداثة بعقلانيتها الصارمة قد استبعدتها. "[[2]](#footnote-2)

**النص الثالث:**

"ظهر مصطلح ما بعد الكولونيالية لأول مرة في المجال السياسي أوائل السبعينيات، عندما أطلق على مأزق البلدان التي تخلصت من سطوة الامبراطوريات الأوروبية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، لكن المصطلح لم يكتسب معناه في المخيال الثقافي والنقدي إلا في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي."[[3]](#footnote-3)

**النص الرابع:**

" يقوم الفكر المابعد كولونيالي على تفكيك المحددات التي تقوم على الهيمنة والتي تخلق علاقات قوة غير متكافئة كما تقوم على تفكيك تلك التقابلات الثنائية من قبيل : نحن/هم، العالم الأول/ العالم الثالث، الأبيض/ الأسود، الرجل /المرأة، المركز / الهامش، المستعمِر /المستعمَر..."[[4]](#footnote-4)

**النص الخامس:**

"[ تشمل المابعد كولونيالية ثقافات ] كل من البلدان الإفريقية وأستراليا وبنغلاديش وبلدان الكاريبي والهند وماليزيا ونيوزيلندة والباكستان وسنغافورة وبلدان جزر جنوب المحيط الهادي، وسيريلانكا..."[[5]](#footnote-5)

**بعض المفاهيم التي أفرزتها نظريات مابعد الاستعمار:**

1. **القراءة الجديدة للاستشراق:**

**النص السادس:** "[الاستشراق هو] الأسلوب الغربي للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه."[[6]](#footnote-6)

**النص السابع:** "إن البلدان المستعمرة وصفت بطرق سلبية قللت من أهميتها وجعلت منها بلدانا أخرى، لتشكل خلفية متحضرة عن المجتمع الغربي."[[7]](#footnote-7)

1. **الهـجـنـة:**

**النص الثامن:** "الهجنة هي حركة تبقي أسئلة الهوية والانتماء مفتوحة دوما على التفاوض."[[8]](#footnote-8)

**النص التاسع:** "إن جهود هومي بابا مكرسة لاكتشاف الموقع الثقافي الهجين البيني، مدافعا عن موقع نظري ينفلت من ثنائيات الشرق والغرب، الذات والآخر، السيد والعبد، الداخل والخارج."[[9]](#footnote-9)

**النص العاشر:** "الهويات ليست مستقرة، وهي في حالة تدفق مستمر."[[10]](#footnote-10)

1. **الـزنـوجـة:**

**النص الحادي عشر:** "ينبغي أن نفهم أن الأسود يرغب أن يتكلم الفرنسية لأنها المفتاح الكفيل بفتح الأبواب التي كانت مغلقة في وجهه."[[11]](#footnote-11)

1. **الـمـثاقـفـة:**

**النص الثاني عشر:** "يستعمل مفهوم المثاقفة للدلالة على التفاعل بين ثقافات مختلفة في التأثير والتأثر، وفي التمثل والتبادل، تحيل إلى الاقتباس المتبادل بين الثقافات، تساعد على معرفة الآخر من دون الانصهار في ثقافته، وإبراز الذات من دون انغلاق مطلق."[[12]](#footnote-12)

1. **مقاربة مفهوم القمع:**

**النص الثالث عشر:** "[القمع] هو إقصاء وإسكات وإعدام ما يجب قمعه، بمجرد محاولة ظهوره، إنه يعمل وفق آلية ثلاثية: التحريم، والتغريب، والصمت."[[13]](#footnote-13)

**النص الرابع عشر:** "لنترك هذه الأوروبا التي لا تفرغ من الكلام عن الإنسان وهي تقتله حينما وجدته.. لقد انقضت قرون وأوروبا تجمد تقدم البشر الآخرين، وتستعبدهم لتحقيق أهدافها وأمجادها. لقد أمسكت أوروبا العالم في حماسة واستهتار وعنف، ورفضت أوروبا كل مذلة وكل تواضع، ولكنها رفضت كل حنان وكل رفق.

إن هذه الأوروبا التي لم تنقطع لحظة عن الادعاء بأنها لا تهتم إلا بالإنسان، نحن نعلم اليوم كم قاست الإنسانية من آلام ثمنا لكل نصر من انتصار روحها."[[14]](#footnote-14)

**الأدب المقارن وقضايا ما بعد الاستعمار:**

**النص الخامس عشر:** "تبين مراجعة الكتب الدراسية الصادرة حول الأدب المقارن أن إدراج قضايا ما بعد الاستعمار حديث جدا في تاريخ هذا الفرع المعرفي، إذا أخذ المرء في الحسبان أن مجال دراسات ما بعد الاستعمار وصل إلى اهتمام واسع الانتشار بعد نشر عمل إدوارد سعيد "الاستشراق" في العام 1978

وكان كتاب سوزان باسنيت الصادر في العام 1993: "الأدب المقارن مقدمة نقدية" أول كتاب دراسي يبحث في عالم ما بعد الاستعمار، على أساس أن المجال الناشئ لدراسات ما بعد الاستعمار له أهداف مماثلة لأهداف الأدب المقارن، وهكذا بالاعتماد على البيانات الافتتاحية لبيل أشكروفت وغاريت غريفت وهيلين تيفن في العام1989، في كتاب "الامبراطورية ترد بالكتابة"، القائلة بأن تعبير مابعد الاستعمار ملائم جدا لنقد التقاطع الثقافي الجديد الذي ظهر في السنوات الأخيرة، وللحوار الذي تشكل من خلاله، تتساءل باسنيت: ماذا يكون هذا سوى الأدب المقارن تحت اسم آخر؟ لذلك على المرء أن يستنتج أن "نقد التقاطع الثقافي" هو الكلمة الأخيرة للمجالين كليهما."[[15]](#footnote-15)

**خلاصات تركيبية:**

تبلورت نظريات ما بعد الاستعمار من خلال جهود مجموعة من المتنورين الذين أعادوا النظر في المنظومة الفكرية التي استندت عليها الحركة الامبريالية من أجل بسط نفوذها على أجزاء شاسعة من العالم، من ثم، كان لابد من بلورة مجموعة من الأدوات التي تفكك الخطاب الاستعماري وتكشف أنساقه المضمرة، وتفضح إيديولوجياته، وتكشف عن أشكال السلطة التي يمارسها على الشعوب المستعمرة وعن كل قنواتها، الظاهر منها و الخفي.

لقد أنتجت ما يمكن تسميته خطابا شموليا يطبق في كل زمان ومكان لاعتقادها بكماله واكتماله، ولاقتناعها بأن السلطة لا تمارس بقوة السلاح فقط، ولكن بقوة سلطة الأفكارأيضا.

جاءت الحداثة لتقضي على ميتافيزيقا القرون الوسطى، لكنها نسجت فكرا ميتافيزيقيا جديدا يوهم بالحرية التي يكون ثمنها فقدها، ويوهم بالمساواة التي ترجمتها العنصرية بكل تشكلاتها العرقية والجنسية و الدينية والسياسية واللغوية والفكرية... شيدت الحداثة أسطورة الميثولوجيا البيضاء التي نزهت الإنسان الأبيض الأوروبي تحديدا. إنه منزه عن الخطأ في مقابل "الآخر" الدوني و المهمش.

لقد عرف الفكر مابعد الكولونيالي تعريفات عديدة تقدم النصوص أعلاه نماذج منها، لكنها تلتقي عند إعطاء المهمش صوتا يتكلم به، يظهر رفضه لهذا الاستبداد المقيت.

وتكاد أغلب الدراسات تتفق على أن هرم الثالوث ما بعد الاستعماري أسسه إدوارد سعيد وفرانز فانون وهومي بابا ويمكن أن نضيف غياتري سبيفاك.

لقد خلخل هؤلاء المنظومة الفكرية للمركز وطرحوا مجموعة من الأسئلة المقلقة حول مفهوم النقاء العرقي والنقاء الثقافي الذي ارتكزت عليه القوى الكولونيالية، تشابكت الأفكار والطروحات والاقتراحات لنسف مفهوم الصفاء والنقاء وتعويضه بالهجنة الثقافية والفكرية والعرقية أيضا حيث يغيب المركز والهامش، ليحل محلها عبر التفكيك الهجنة والتثاقف والتناسج.

لقد فضحت نظريات مابعد الاستعمار الادعاءات الكوسموبوليتية للمنظومة الغربية، وانتصرت للإنسان وقضت على كل أشكال التنميط التي تصنف الجنس البشري في إطار خانات تمحو إنسانيته وتخنق صوته لأن القمع يمنعه من التقدم. لذلك نجد إدوارد سعيد ينتقد الاستشراق باعتباره مجموعة من التمثلات التي شيدت شرقا صالحا لاستغلاله بعد مسح عميق لخرائطه ولأفكاره ومعتقداته ولغاته ومحركاته.

لقد ساهم في تشييد صرح الفكر ما بعد الكولونيالي مجموعة من الأسماء التي وضع كل منها لبنة لعملية التشييد، منهم على سبيل المثال لا الحصر:

**ميشال فوكو:**

رفض ميشال فوكو كل أشكال المقولات الميتافيزيقية التي أسسها الفكر الحداثي الذي انطلق من تحرير الإنسان ليسقطه في أشد الأشكال استعبادا في تاريخ البشرية. ولذلك يصبح الصفاء والجوهر والأصل والثبات مقولات عنصرية اخترعها المستعمر من أجل أن يحكم قبضته على المستعمر، لقد نشر الفكر الامبراطوري أسطورة الماهية الثابتة، في حين أن الأشياء تتغير بتغير سياقاتها وحسب الدلالات التي تعطى لها، لذلك ينبغي رفض التفسير الواحد والأوحد للظواهر. تصدى ميشال فوكو لكل المفاهيم المكرسة للرقص المسعورحول الذات. وقد قدم تعريفا للسلطة باعتبارها ممارسات تشارك فيها عدة مؤسسات، من أجل فرض الهيمنة على الآخر.

**أنطونيو غرامشي:**

برز مفهوم المثقف العضوي مع أنطونيو غرامشي، وهو المثقف الذي ينخرط في العمل السياسي ويتمثل معاناة أبناء شعبه ويعبر عنها، ويؤسس ملامح مجتمع بديل انطلاقا من المبادئ الاشتراكية التي تدعو إلى الثورة على كل كبح لجماح المثقف الثوري، الذي يكشف عن أسرار المآسي التي تعيشها الشعوب. فالهيمنة تمارس ثقافيا وفكريا ونفسيا من أجل فرض السيطرة عليها لذلك تصبح الهيمنة أشد أشكال الاستغلال بشاعة. (انظر دفاتر السجن).

**فرانز فانون:**

يمكن تلخيص أهم أفكار هذا الطبيب المارتينيكي في دعوته إلى اعتبار العنف السبيل الأوحد للقضاء على الاستعمار، ويمكن الاطلاع على كتابيه الوازنين في هذا المضمار: "معذبو الأرض"/ "بشرة سوداء أقنعة بيضاء".

**هومي بابا:**

طرح هومي بابا مفهوم التهجين انتقادا لادعاء الأوروبيين صفاء ثقافتهم ونقاءها، ذلك أن قدر الفكر البشري الاختلاط الأبدي واللانهائي الذي تضيع معه آثار الأصل.

دافع هومي بابا عن مفهوم المابينية، بنسف ثنائيات شرق/ غرب، الأسود / الأبيض، متقدم متخلف، سيد /عبد (انظر كتابه موقع الثقافة.)

تأثر هومي بابا بميشال فوكو وجاك دريدا وفرانز فانون وإدوارد سعيد.

**إدوارد سعيد**:

أشهر كتب إدوارد سعيد "الاستشراق"، فلأول مرة نسمع أن الشرق اختراع أوروبي، كان في البداية فضاء للتخييل والكائنات العجيبة، وهي صورة نمطية حاول الاستعمار تثبيتها من أجل تدمير الشرق. استفاد إدوارد سعيد من ميشال فوكو في إعادة قراءة الخطاب الاستشراقي المبني على السلطة والمعرفة، وعلى التمييز العنصري بين الشرق والغرب (أنظر الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، الثقافة والامبريالية.)

**غاياتري سبيفاك:**

إنها صاحبة : هل يستطيع التابع أن يتكلم؟ والتابع هو الذي يطبق قرارات السيد ولا يقرر ولا يناقش، لقد تأثرت بمفهوم الهيمنة عند غرامشي، وهو سلوك يمارسه البرجوازي من أجل السيطرة على من يخدمونه، متأثرا بما حققته فلسفة الأنوار التي أفرزت حداثة مدعية لإعادة الاعتبار للإنسان، فإذا بها حداثة تكرس مركزية أحادية لأنها جعلت عملية التفكير مقتصرة على الإنسان الأوروبي.

انتقدت سبيفاك عنصرية الفكر الغربي، وانتقدت أيضا تكريس الشعوب التابعة لهذه العنصرية بقبولها واعتبار ممارساتها قوانين تلتزم بها، وانتقدت الهيمنة الذكورية داخل مجتمعها الهندي، انتقدت التبعية بشدة ودعت إلى ضرورة تكلم التابع بلغته، وليس بلغة مغلفة بالتعليمات الغربية.

**بيل أشكروفت:**

يهدف كتاب "الامبراطورية ترد بالكتابة" إلى تفكيك الخطاب الاستعماري، إنه يتحدث عن رد المهمش التابع ، أي رد الشرق على الغرب.

لقد استعملت عبارة ما بعد الكولونيالية في المجال السياسي أوائل السبعينات من أجل وصف حالة الأمم بعد تخلصها من الاستعمار الفعلي غداة الحرب العالمية الثانية، ثم أصبحت دالة على نظرية تتعلق بالثقافة والنقد الأدبي خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين. إنه إعلان عن نقد جديد عابر للقارات، يقرأ كتابات التابع بعد التخلص الفعلي من التبعية الغربية، كما يرصد بقايا هذا الفكر الكولونيالي ورسوخه في الكثير من أشكال الكتابات وطرق التفكير .

تشكلت نظريات بعد الاستعمار من أسماء كثيرة ذكرنا بعضها، والبعض الآخر جاء في الملخص، وما تغييبنا لأسماء أخرى أثرت هذه النظريات إلا لضيق مساحة الاستيعاب، لكنها تتفق ـ على اختلاف بينها في طرق ووسائل التفكير ـ على تفكيك الخطاب الامبريالي للكشف عن أنساقه المضمرة، والتأسيس لثقافة إعادة الاعتبار للهامش في الامبراطورية القديمة.

1. - تيري إيغلتون: أوهام ما بعد الحداثة ، ترجمة منى عبد السلام، دار الحوار،2000، ص:112 . [↑](#footnote-ref-1)
2. - محمد سبيلا: الحداثة ومابعد الحداثة، دار توبقال للنشر،طبعة 2000 ، ص: 61. [↑](#footnote-ref-2)
3. - هشام بلهاشمي: الكتابة المسرحية الغربية وأسئلة مابعد الكولونيالية، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة رقم 38، 2016، ص:9، [↑](#footnote-ref-3)
4. - هيلين جلبرت، خوان توم كينز: دراما مابعد الاستعمار، ترجمة سامح فكري، أكاديمية الفنون 2000، ص4. [↑](#footnote-ref-4)
5. - بيل أشكروفت – غاريت غريفت – هيلين تيفن: الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات السابقة، ترجمة شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، 2006، ص: 16. [↑](#footnote-ref-5)
6. -إدوارد سعيد: الاستشراق، مرجع سابق، ص320. [↑](#footnote-ref-6)
7. - نفسه، ص: 165. [↑](#footnote-ref-7)
8. - هومي بابا: موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، المركز الثقافي العربي 2006، ص:19. [↑](#footnote-ref-8)
9. - نفسه، من مقدمة الكتاب، ص:11. [↑](#footnote-ref-9)
10. - آنيا لومبا: نظرية الاستعمار ومابعد الاستعمار، ترجمة عبد الغني غنوم، دار الحوار 2007، ص:182. [↑](#footnote-ref-10)
11. - فرانز فانون: بشرة سوداء، وأقنعة بيضاء، ترجمة خليل أحمد خليل، 2004، ص:20. [↑](#footnote-ref-11)
12. - إيريكا فيشر ليشته: من مسرح المثاقفة إلى تناسج ثقافات الفرجة، ترجمة وتقديم خالد أمين، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة رقم 42، ص:14. [↑](#footnote-ref-12)
13. - ميشال فوكو: المعرفة والسلطة، ترجمة عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، 1994، ص: 22. [↑](#footnote-ref-13)
14. - فرانز فانون: معذبو الأرض، مرجع سابق، 221 [↑](#footnote-ref-14)
15. - سيزر دو منغيز – هاون سوسي –داريو فيلانويفا: تقديم الأدب المقارن، اتجاهات وتطبيقات جديدة، ترجمة فؤاد عبد المطلب، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب 2017، ص: 83-84. [↑](#footnote-ref-15)